٧- سيدنا أيوب عليه السلام

مضرب الأمثال

سبحان اللَّه العظيم الذي طبع عباده بصفات خاصة ، كيف يشاء ، وجعل لكل منهم ميزة فى نفسه وفى أخلاقه ، وكذلك فعل رب العالمين بعباده من المصطفين الأخيار من طائفة الرسل والأنبياء إذ جعل لكل نبى مرسل صفة وميزة ورسالة فى أخلاقه وفى مهمته وهى لا تتبدل أبدًا ، وكثيرًا ما يُعرف بها هؤلاء الرسل حتى بدون الارتباط بواقعة بعينها.. أو حتى بدون ذكر أسمائهم.

ونبى اللَّه أيوب عليه السلام ، نعتبره فى مقدمة هؤلاء الأنبياء الذين يعرفهم الناس عبر التاريخ بصفة متميزة لم ترتبط بغيره من زملائه من رسل اللَّه.. إذ فاقت شهرته كنبى صبر على الابتلاء ضعف ما صبر غيره.. وقد فرج اللَّه عنه كربه وبلاءه وعوضه عن ذلك خيرًا كثيرًا.

ولقد اتفق معظم المؤرخين ، وكذلك رواة السير الخاصة بالأنبياء ، وأجمعوا كذلك على أن النبى الكريم أيوب عليه السلام قد أصبح مضربًا للأمثال فى الصبر دون غيره من الأنبياء والرسل ، وذلك لأنه صبر حين آتاه اللَّه النعمة ، فأخذ يشكره سنوات طويلة على ما رزقه من نعمة الأموال والأولاد والصحة ، كما ظل قانعًا بفضل اللَّه.. عندما أوحى إليه بأن يبلغ الناس رسالة الدعوة إلى اللَّه ونبذ عبادة ما سواه ، وكذلك تساوى هذا النبى الكريم فى صبره وقوة إيمانه عندما وقع عليه الاختبار العظيم ، فابتلاه ربه فى أمواله وأولاده وصحته. وبات لسنوات طويلة فقيرًا.. عليلاً يعيش على هامش الحياة.

ولقد ظل صابرًا على هذا البلاء العظيم يدعو اللَّه أن يفرج عنه من غير تبرم أو قنوط أو جزع مدة قدرها البعض بأكثر من ثمانية عشر عامًا !.

ولنا فى النبى أيوب عليه السلام - أسوة حسنة - كما كان لنا فى غيره من أنبياء اللَّه ورسله الكرام.. إذ جعله اللَّه مضربًا للأمثال على ألسنة عباده الذين يمرون بالأزمات والمشاكل.. يتخذون من قصته العبرة والعظة ، وهو نبى كريم اصطفاه اللَّه وكرمه واختاره لإبلاغ رسالته إلى قومه ، وقد نجح فى هذا الاختبار نجاحًا غير مسبوق ، فما بالنا نحن البشر الضعفاء ، الذين إذا ما ابتلاهم اللَّه باختبار صغير سواء فى الأهل أو فى الأموال نجزع ونتبرم ، ونلجأ إلى أنفسنا ناسين رب العالمين ، ويالها من فرصة سانحة وعظيمة يظهر من خلالها الشيطان ليقدم يد العون الخبيثة ! ، ويصور لنا حياتنا وكأنها جحيم لا نستحقه !.

وكعادتنا دائمًا.. ومن قبل أن نعيش وقائع ابتلاء الأنبياء.. ، كان علينا أن نتوقف عند حياة هذا النبى الكريم ، مثلما فعلنا مع غيره من المصطفين الأخيار.. نقتبس الشىء الكثير من الفائدة من نور حياتهم ونهتدى بهداهم سواء بالنسبة لأعمالهم فى الدنيا أو فى الآخرة.

ولقد لاحظنا فى هذا السياق أن كتب الأولين من أهل الكتاب قد حفلت بسيرة النبى أيوب ، وكذلك أكدها القرآن الكريم ، مع وجود فروق جوهرية سواء فى طريقة التناول أو فى التفاصيل التى رواها القرآن الكريم عن النبى أيوب وبين ما روته كتب التوراة !.

وكما اختلف المؤرخون فى نسب العديد من الأنبياء.. كذلك اختلفوا فى نسب النبى أيوب عليه السلام وإن كان قول الأكثرين على أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [النساء : ١٦٣].

وبخلاف الآية الكريمة السابقة ، فقد ذكر اللّه تعالى نبيه الكريم أيوب عليه السلام فى آيات أخرى من سور قرآنية أخرى ٠٠ ففى سورة الأنبياء قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣]٠

وفى سورة ص فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ ﴾ [ص : ٤١]٠

ومن أشهر ما قيل بشأن نسب هذا النبى الكريم أنه ابن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ٠٠ وكان أيوب فى زمن يعقوب عليه السلام ، وكان صهره ، وكانت تحته بنت يعقوب ، وكان يقال لها : « كيا » وهى التى ضربها بالضغث وهى الحزمة من الحشيش الأخضر ، وقيل : إن زوجه التى ضربها بالضغث هى « رحمة بنت أرائيم » بن يوسف بن يعقوب٠

وقال الحافظ ابن كثير فى نسب أيوب عليه السلام : هو أيوب بن سارى بن رغوال ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم٠ وقيل : اسم أبيه موص بن عيسو٠ وقيل : موص ابن رزاح بن عيص ٠ وزعم بعض المتأخرين أنه من ذرية روم بن عيص ، كما حكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام ، وكان أبوه ممن آمن بإبراهيم٠ وعلى هذا فقد كان قبل موسى٠

أما ابن إسحاق فقال : الصحيح أنه كان من بنى إسرائيل ، ولم يصح فى نسبه شىء إلا أن اسم أبيه « أمص » واللّه أعلم ، وقال الإمام الطبرى : كان زمن أيوب بعد شعيب عليه السلام ٠ وقال ابن أبى خيثمة : كان بعد سليمان ، وكان عيصو تزوج من بشمت بنت عمه إسماعيل فرزق منها رغوال ، وهو صاحب البلاء المشهور فى صبره٠

أما الدكتور رشدى البدراوى وفقًا لنظريته التى بنى عليها كل ما حكاه عن أنساب الأنبياء ، فيرى أن أيوب عليه السلام هو من نسل عيسو أحد أبناء إسحاق عليه السلام ٠٠ وذلك فى قوله : بأنه من أبناء عيسو من زوجته

« بسمة » بنت إسماعيل أنجب رعوئيل وولد لرعوئيل زارح ، وزارح ولد موصى.. وموصى ولد له ابن سماه أيوب[1].

وقد شب أيوب فى ميسرة من العيش ، فقد كان أبوه وجده سادة فى قومهما وعلى ثراء كبير.. ولما بلغ أيوب الخامسة والعشرين من عمره أراد أبوه أن يزوجه من بيت يناسب ثراءه .. وكان قد سمع عن أقربائه فى مصر بنى يعقوب ، وأن يوسف بن يعقوب كان عزيز مصر ورئيس وزرائها ، فشد الرحال إلى هناك وقابل أفرايم بن يوسف وطلب منه ابنته رحمة زوجة لابنه أيوب.. فوافق أفرايم ، وسافرت رحمة مع أيوب إلى أرض أدوم ، وكان أيوب ماهرًا فى التجارة ، أمينا فى معاملاته ، فنمت ثروته وأصبح يشار إليه بالبنان فى الثروة والتقوى ، إذ آتاه اللَّه الملك والنبوة .. فكان كثيرًا ما يطعم المسكين ويعطف على الفقراء ويكثر من الصدقات.

أما بالنسبة لاسمه عليه السلام فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن أيوب مشتقة من الأوب والتوب فهو التائب ، الآيب إلى اللَّه.. وآب يؤوب وصيغة المبالغة أيوب.

ولقد أكد الدكتور البدراوى وغيره من العلماء والمفسرين أن إرادة اللَّه قد شاءت أن يضرب مثالاً على الصبر فى شخص أيوب.. ليتأسى به الناس فى صبره .. ويقتدوا به فى تحمل ما قد يصيبهم من مصائب وآلام ، فتهون عليهم مصائبهم وآلامهم ؛ إذ يرون هذا النبى الكريم قد ابتلى بأكثر منهم ولفترة طويلة ، فصبر مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾.

ولسوف يبدو لنا ذلك واضحًا بشدة حين نستعرض معًا حالات ابتلاء هذا النبى الكريم ، وقد بدأ الابتلاء فى الأموال ثم فى الأولاد وأخيرًا فى الصحة ، وكذلك اجتمعت هذه الابتلاءات الثلاثة فى حياة هذا النبى.. ، وفى وقت واحد تقريبا ! !.

---

(١) جـ٣ ، من كتاب قصص الأنبياء والتاريخ.

الابتلاء فى الأموال

ذكر الإمام الأكبر شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه عن الأنبياء والرسل عن ثراء سيدنا أيوب عليه السلام .. « لقد آتاه الله ثراء عريضًا ونعمة موفورة ، وكان ثراؤه ألوانًا عدة ، كان عنده من الثروة الزراعية المتمثلة فى المزارع والحدائق والرياض الشىء الكثير ، كما يتحدث الإمام ابن كثير عن الأراضى المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران التى كانت له ، ثم يذكر ابن عساكر أنها كلها كانت له.

أما الإمام أبو إسحاق النيسابورى المعروف بالثعلبى فيقول عن هذه الثروة فى كتابه « عرائس المجالس » ، منقولاً عن وهب وكعب وغيرهما أن الله اصطفاه وبسط عليه الدنيا ، وكان له الثنية من أرض الشام كلها سهولها وجبالها وما كان فيها ، وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان تبعها خمسمائة عبد ولكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين إلى ما فوق الخمسة ، وفى ظل هذه الأموال كان رجلاً تقيا رحيمًا بالمساكين يكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف ، وكان شاكرًا لأنعم الله مؤديًا حقه ، وقد حفظه الله من عدو الله الشيطان أن يصيب منه ما أصاب غيره من أهل الغنى من الغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا.

وفى ظل هذه النعمة ، التى عاشها النبى الكريم أيوب.. وفى ظل حبه لله وتفانيه فى عبادته وإبلاغ رسالته لقومه.. وقع عليه الاختيار والاختبار لأجل تمحيص إيمانه ، ولكى يكون للناس إمامًا فى الصبر إلى يوم القيامة.

من هنا سلبه الله كل هذه النعم .. وبات بين عشية أو ضحاها من الفقراء المعدمين !!. إذ يحكى التاريخ فى هذا السياق حكايات عديدة عن كيفية ضياع هذه الأموال الكثيرة والأراضى الزراعية غير محدودة الأعداد..

والغريب أن العديد من الرواة قد أدخلوا الشيطان طرفًا فى ضياع هذه الأموال ، وربطوا فى ذلك بين حسده لتلك النعم التى تمتع بها النبى أيوب ، وبين رغبة الشيطان فى أن يثبت للّه وهو أعلم· أن نبيه الكريم لن يصبر ! !·

وقد شكك العديد من الأئمة الفقهاء والمفسرين فى هذه الروايات التى ربطت بين ضياع أموال أيوب عليه السلام وبين حيل ومكائد الشيطان·

من أجل ذلك امتنعنا عن ذكرها ، واكتفينا فقط بالقول بأن اللّه تعالى قد سلط بعض أدواته فى الطبيعة مثل الرياح وغيرها التى حصدت أموال أيوب عليه السلام ، وجعلتها كأن لم تغن بالأمس ، فضاع ماله كله ، وضياع المال أو زواله على حد قول الثعلبى هو المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال·

وأمام هذا الابتلاء الشديد لم يجزع أيوب عليه السلام·· كما ظن ذلك الشيطان ·· بل استمر قويا فى دعوته إلى اللّه وفى عباداته الظاهرة والباطنة ، وفى دعوته الدائمة إلى اللّه بأنه أرحم الراحمين·

بل ولم يقتصر أمر جهاد أيوب عليه السلام ضد نفسه ، وإنما امتد ليجاهد الشيطان وأعوانه من الذين التفوا حوله لأجل أن ينالوا من صبره ، فكان أيوب كلما انتهي إليه بهلاك مال من ماله حمد اللّه ، وأحسن الثناء عليه ، ورضى بالقضاء والقدر ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال !··

عندئذ تحايل الشيطان على نفسه فأخذ يتحين الفرصة تلو الأخرى من أجل أن ينال من صبر أيوب وإيمانه القوى باللّه ، فاستمر يناوشه حينًا بعد حين·· خاصة عندما عرف بأمر ابتلائه الثانى فى وفاة أولاده وكان كذلك من الصابرين·

الابتلاء فى الأولاد

وما هى إلا أيام معدودات·· وبعدما ضاع مال هذا النبى الكريم·· أصيب فى

أولاده.. عندما ماتوا جميعًا.. وفى آن واحد !!. وهى المصيبة والفتنة المضلة والكارثة التى لا تتحملها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم.

ومما يحكى فى سياق ضياع أولاد أيوب عليه السلام : أن القصر الذي كانوا يقيمون به قد تداعت أسسه وأركانه فى لحظات !، وكان أيوب آنذاك معتكفًا يناجى ربه أن يرفع عنه بلاء الفقر والحاجة !، أو ربما كان مشغولاً فى تبليغ رسالة رب العالمين لعباده من بنى قومه !.

عندئذ انطلق إبليس اللعين فرحًا بالابتلاء الجديد وكانت وجهته هذه المرة بلاء أيوب عليه السلام ، ويحكى بعض الرواة هذا الموقف بقولهم : إن إبليس انطلق إلى أيوب متمثلاً فى صورة المعلم الذي كان يعلم أولاده الحكمة ، وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبره بذلك وقال له : يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر، وكيف نكسوا على رؤوسهم وتسيل دماؤهم من أدمغتهم ومن أنوفهم وشفاههم ، ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك ، فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق قلب أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه.

فاغتنم إبليس منه ذلك ، وصعد سريعًا بالذى كان من جزع أيوب ، وأصابه السرور، ثم ما لبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته ، فبدروا إبليس وسبقوه إلى اللَّه واللَّه أعلم بما كان.. فوقف إبليس خاسئًا ذليلاً.. إذ لم ينجح هذه المرة أيضًا فى مهمته.. وهو أمام ذلك العبد الصابر الذى لم تهزه هذه الفاجعة فى إيمانه باللَّه وبرحمته.. مثلما فشل من قبل فى هز إيمان أيوب عليه السلام عندما ابتُلى من قبل فى ضياع أمواله !.

ومع ذلك لم ييأس الشيطان وكذلك لم يستسلم أيوب عليه السلام ، وكانت مباراة غير متكافئة بين شيطان رجيم وبين عبد صالح آتاه اللَّه النبوة والصبر.

ولقد أحس ذلك الشيطان ٠٠ بأن هناك ابتلاء ثالثًا لابد وأن يخضع أمامه نبى اللَّه أيوب ! ، وبالفعل اختبره رب العزة فى صحته٠٠ فأخذ الشيطان على عاتقة هذه المرة أن يهزم صبر أيوب ، ولكنه فشل أيضًا ولسوف يفشل دائمًا مع المؤمنين باللَّه وبرحمته٠٠ ولنتخذ من هذا النبى الكريم مثالاً نحتذى به فى مجاهدة الشيطان ، والانتصار عليه ، حيث فقد أمواله ومن بعدها فقد أولاده ، وها هو يفقد أيضًا صحته وقوته ، ويتحول من بعدها فى لحظات إلى شبح رجل يعيش فى وهن ، وليس حوله إلا زوجه الوفية التى نالت هى الأخرى جزاء صبرها٠

الابتلاء فى الصحة

ذكر الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوى فيما كتبه عن قصص الأنبياء٠٠ أن بعض المفسرين قد ذكروا قصصًا وأقوالاً فى غاية السقوط والفساد ، حيث ذكروا بخصوص مرض أيوب عليه السلام أنه - عليه السلام - مرض زمنًا طويلاً وأن الديدان تناثرت من جسده وأن لحمه قد تمزق !٠ وهذه كلها أقوال باطلة ، لأن اللَّه تعالى عصم الأنبياء من الأمراض المنفرة ، التى تؤدى إلى ابتعاد الناس عنهم ، سواء أكانت أمراضًا جسدية أم عصبية أم نفسية٠

والذى يجب اعتقاده هنا أن اللَّه تعالى قد ابتلى عبده أيوب ببعض الأمراض التى لا تتنافى مع منصب النبوة ، وقد اختلف العلماء والمفسرون فى نوع المرض الذي أصيب به أيوب عليه السلام٠٠ فمن قائل : إنه أصيب بمرض جلدى حيث انتشرت فى كل جسمه الدمامل ، وهذا الرأى يرفضه أكثر العلماء والمفسرين٠

وقال ابن كثير : إنه أصيب بالجذام فى سائر بدنه ، ولم يبق منه سليمًا سوى قلبه ولسانه يذكر بهما اللَّه عزوجل ، ومن المفسرين من يرى أن أيوب عليه السلام أصيب بمرض غير منفر وأنه من الأمراض التى لا يظهر أثرها على البشر كالروماتيزم وأمراض المفاصل ، وهذا قول غير صحيح على الأرجح ، ذلك لأن قوله

تعالى : ﴿ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ ﴾ .. إنما يدل على أن المرض كان جلديا ، لأن الأمراض الجلدية هى التى تعالج بالغسول وما شابه ، ولا ينفى ذلك أنه كانت هناك أيضًا آلام فى المفاصل أو العضلات لقوله تعالى : ﴿ وشراب ﴾.

ويرى الدكتور محمد الظواهرى أحد أخصائيى الأمراض الجلدية .. أن مرض أيوب عليه السلام كان هو الالتهاب الجلدى مقبول الشكل ، وهو مرض مزمن ، وقد عرف حاليًا أن سببه هو نوع من الحساسية لمركب الجلوتين الموجود فى القمح والشعير والذرة والأرز ، والحساسية كما يرى هؤلاء الأطباء هى استعداد فى الجسم ، ورد فعل عنيف لبعض الأجسام التى تدخل ويتعرض لها الجسم.

وهذا التوصيف الطبى معقول إلى حد كبير ويتفق مع ما رواه الثعلبى فى كتابه « عرائس المجالس » من أن الشيطان قد تسلط على جسد أيوب عليه السلام ، فوقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتماسك عن حكها ، وكان دائمًا يستخدم أظفاره فى هذا الحك. وكذلك حكها بالمسوح الخشنة ثم بالفخار والحجارة ، فلم يزل يحكها حتى نزف وتقطع لحمه !.

ولما رأى أيوب عليه السلام حالته الصحية تسوء يومًا بعد يوم ترك أهل قريته وعاش بعيدًا عنهم ، مكتفيًا بزوجه الوفية التى لم تتركه ، بل ودأبت جادة فى البحث عن لقمة عيش طاهرة لها ولزوجها المريض !. وبعض من أقاربه أو أصدقائه ، وذلك مصداقًا لقول رسولنا الكريم فى حديث صحيح رواه أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد.. إلا رجلين من إخوانه ، كانا من أخص إخوانه له.. كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين قال صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثمانى عشرة سنة ، لم يرحمه ربه فيكشف عنه ما به ، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له.. فقال أيوب : لا أدرى ما تقول ! ! غير أن الله - عزوجل - يعلم أنى كنت أمر على

الرجلين يتنازعان ، فيذكران اللَّه فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكر اللَّه إلا فى الحق » ..

وفى ظل هذه الظروف الحياتية الصعبة التى كان عليها نبى اللَّه أيوب.. دأبت زوجه على خدمته.. ، وقد تفوقت فى هذا الأمر على هذين الصاحبين اللذين أخذا يعايرانه بالذنب نظرًا لطول مكوثه مريضًا ، من دون شفاء !. فكانت تأتيه بطعام وتحمد اللَّه معه إذا حمده أيوب على ما به ، ولم يكن يفتر عن ذكر اللَّه تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه ربه .. قال ذلك أمام مرأى ومسمع من إبليس اللعين ، الذي أعيته كل الحيل للنيل من صبر هذا النبى الكريم ، فأخذ يفكر هو وأعوانه من الشياطين الذين أوحوا إليه بضرورة النيل منه عن طريق زوجه الصابرة « رحمة ».. تمامًا كما فعل من قبل مع زوج آدم عليه السلام..

ورآها الشيطان فكرة .. فاتجه على الفور إلى زوج أيوب عليه السلام لكى ينال من عزمها ، ولعله بذلك ينال ما يحلم به من تفتيت صبر أيوب !..

ويحكى بعض الرواة تفاصيل كثيرة عن مكر إبليس تجاه زوج أيوب عليه السلام .. فقالوا : إن الشيطان حين انطلق ناحية زوج أيوب عليه السلام ، كانت تطلب الصدقة ، فتمثل لها فى صورة رجل ، وأخذ يوسوس لها بعدما أخبرته بحال زوجها فى مرضه ، وذكرها بما كانت فيه من النعيم والمال ، وذكرها بجمال زوجها أيوب وشبابه وما هو فيه الآن من الضرر وأن ذلك لن ينقطع عنه أبدًا .. فصرخت ، فلما صرخت علم أنها جزعت ، فأتاها بسخلة ، وقال لها : ليذبح أيوب هذه لى وسيبرأ ، فجاءت تصرخ وقالت : يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك ؟ أين المال والماشية ، أين الولد ، أين الصديق؟ أين ثوبك الحسن ؟ ! فقد صار مثل الرماد ، وأين جسمك الحسن فقد بلى .. اذبح هذه السخلة واسترح ، فقال لها أيوب : أتاك عدو اللَّه فنفخ فيك فأجبتيه ، ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة .. من أنعم به علينا ؟ !. قالت : اللَّه ، قال : فكم متعنا به ؟

قالت : ثمانين سنة ، قال فمنذ كم ابتلانا اللَّه بهذا البلاء؟ !. قالت : منذ سبع سنين ، قال ويلك واللَّه ما عدلت ولا أنصفت ربك .. ألا صبرت فى هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة ، كما كنا فى الرخاء ، واللَّه لئن شفانى اللَّه لأجلدنك مائة جلدة.. كما أمرتينى أن أذبح لغير اللَّه تعالى ، وطعامك وشرابك الذي تأتينى به على حرام لا أذوق مما تأتينى به شيئًا بعد أن قلت هذا .. فاغربى عنى ولا أراك، فطردها فذهبت..

ولما رأى أيوب عليه السلام أنه طرد زوجه وليس عنده طعام ولا شراب .. ولا صديق خر للَّه ساجدًا وقال : ﴿ **رب إنى مسنى الضر** ﴾ ثم رد الأمر كله إلى ربه .. واستسلم لإرادته ، وقال : ﴿ **أنت أرحم الراحمين** ﴾ فقيل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك.

وهكذا صنع اللَّه من ضيق هذا النبى الكريم فرجًا بعدما اختبره اختبارًا دقيقًا !. وبعد أن عرف وهو أعلم بذلك ، قوة إيمان عبده أيوب الذي انتصر فى كل ما واجهه من بلايا ومشاكل على الشيطان ، عندئذ بدأت فيوضات الرحمن تنهال على أيوب عليه السلام .. وكانت البداية أن أذهب عنه المرض .. وذلك مصداقًا لقوله تعالى : فى سورة ص : ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾.

وبعد أن شُفى أيوب عليه السلام من مرضه الطويل .. أعاد اللَّه إليه زوجه .. وأوحى إليه أن يخرج من مشكلة حلفه .. بوسيلة طيبة فأمره بأن يأخذ قبضة من حشيش لين أو عيدان حطب .. عددها مائة .. يضرب بها زوجه مرة واحدة. وبذلك يكون قد جمع بين الوفاء بيمينه وبين الرحمة بزوجه ، التى كانت تحسن خدمته طوال مرضه ، ثم توالت بعد ذلك حالات الفرج فى حياة هذا النبى الكريم

.. فرد اللَّه عليه أمواله التى ضاعت من قبل .. وكذلك أولاده ، واختلف العلماء فى كيفية ذلك ، فقال قوم : لما ابتلى اللَّه أيوب فى الدنيا مثل له أهله .. فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه فى الدنيا وإنما وعد اللَّه أيوب أن يؤتيه إياهم فى الآخرة .. وقال وهب كان لأيوب سبع بنات وثلاثة بنين ، وقال آخرون : بل ردهم اللَّه تعالى إليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وكعب ، حيث قال : أحياهم اللَّه وآتاه مثلهم وذكروا أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وأنه أوصى عند موته إلى ابنه « حومل » ، وأن اللَّه بعث بعده بشر بن أيوب نبيا سماه ذا الكفل وأمره بالدعوة إلى توحيده ، وأنه كان مقيمًا بالشام طول عمره حتى مات ، وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وأن بشرًا أوصى ابنه عبدان وأن اللَّه تعالى بعث بعده شعيبًا عليه السلام ..[1].

* * *

(١) عرائس المجالس .. مصدر سابق.